أسرار المطران

وقائع حوار الساعات الست مع الأنبا بيشوى

10

لم يكن من المفروض أن أجرى هذا الحوار،لكن المقادير وحدها هى التى قادتنا إليه،فالأنبا بيشوى أسقف دمياط وكفر الشيخ والبرارى وسكرتير المجمع المقدس والرجل الذى يشار إليه على أنه الرجل القوى والحديدى فى الكنيسة المصرية، رجل يحاول أن يعتصم بالصمت.

لا يتحدث كثيرا، يثير حالة من الصخب والغبار من حوله، تتشابك حوله خيوط كثيرة لا يمكن أن يفصل فيها أحد بسهولة، فهو رجل متهم على طول الخط، الذين يحبونه يخشون بأسه وسطوته والذين يكرهونه – والكلمة دقيقة ومعبرة– يلصقون به كل ما يخطر وما لا يخطر على باله من اتهامات.

ومع ذلك لم أفكر فى محاورته ربما لأنه عندما يجرى حوارات مع الآخرين يقول ما يريده هو، لا ما يجب أن يتحدث فيه ويريد أن يعرفه الناس منه وعنه، ولذلك كنت أزهد فيه.

وللحق فقد كانت هناك بعض المحاولات لترتيب لقاء معه،عندما قابلت الأنبا موسى أسقف الشباب مقابلة ودية للتعارف، قال لى: أن الأنبا بيشوى تظلمه الصحافة لأنها لا تعرفه جيدا، وأننى لو تحدثت معه فسوف تتغير فيه وجهة نظرى، واقترح الأنبا موسى أن يرتب لقاء بينى وبينه، لكنه ذهب ولم يعد.

لكن حدث ما قادنى إلى أن أجلس معه على مائدة واحدة فى دير الملاك وتحديدا فى مكتب الأنبا موسى، بعد أن طلب هو أن نجلس ونتحاور.

كان قد جاءنى شاب مسيحى يحمل أوراقا وصورا ومستندات، قال لى: إنه قضى عاما ونصف إلى جوار الأنبا بيشوى فى دير القديسة دميانة وأنه كان مقربا منه وقدم لى صورا عديدة تؤكد هذه العلاقة.

لم أعط أذنى لهذا الشاب ومن مصادر عديدة بعضها قريب من الأنبا بيشوى عرفت أنه كان فى الدير، وكان يقوم بمهام عديدة منها توزيع كتب البابا والأنبا بيشوى على مكتبات الكنائس من الإسكندرية إلى أسوان، وهو ما اعترف به الأنبا بيشوى ولم ينكره.

كان الشاب متحمسا جدا وعرفت أنه تحدث قبل ذلك مع صحف أخرى واتهم الأنبا بيشوى باتهامات عديدة، حاول أن يقنعنى أنه يعمل من أجل المسيحية ومن أجل الأقباط، ولما رفضت أن أقتنع بذلك قال لى: إنه طلب من الأنبا بيشوى أن يعينه فى صحيفة قبطية وقناة فضائية تابعة للكنيسة لكنه رفض، فما كان من الشاب إلا أن ترك الدير دون أن يخبر الأنبا بيشوى بذلك.

سألت الأنبا موسى مباشرة عن هذا الشاب فأخبرنى أنه طلب وساطته لدى الأنبا بيشوى، وقال: إنه عندما خاطب الأنبا بيشوى بشأنه ،قال له: كيف أتوسط له

فى أى عمل صحفى أو إعلامى، والولد لا يعرف كيف يكتب جملتين على بعض.

ألقيت بحكايات الشاب القبطى بشأن خلافاته مع الأنبا بيشوى جانبا وبدأت أجرى معه حوارا مطولا ومسجلا عن يوميات الأنبا بيشوى فى الدير،كيف يعمل وكيف يدير الأمور؟

كان الشاب مريبا أثناء التسجيل معه، فقد كان يجرى اتصالات مع شخصيات قبطية عديدة لتتوسط له عند الأنبا بيشوى،وقد اتضح لى أن أحدا لم يستجب له ربما خشية من الأنبا بيشوى أو اعتقادا منهم أن ما فعله الشاب لا يليق.

بل إنه وكما ثبت بعد ذلك كان يرسل رسائل عديدة للأنبا بيشوى شخصيا كى يسامحه ويعفو عنه ويعيده إلى رحمته، وقد أطلعنا الأنبا بيشوى على هذه الرسائل على تليفونه المحمول.

بعد أن تجمعت لدى خيوط كثيرة قررت أن أكتب حلقات عن الأنبا بيشوى من واقع يوميات شاهد عيان لتنشر فى جريدة الفجر التى أشغل منصب نائب رئيس التحرير بها.

ما أن نشرنا تنويها عن الحلقات حتى قامت الدنيا ولم تقعد،تلقيت تليفونات عديدة ممن أعرف جيدا أنهم يدورون فى فلك الأنبا بيشوى، لقد اعتقدوا أن هذه الحلقات ستكون ضده ولا أعرف من أين أتاهم هذا الإحساس؟

قالوا لى : إن مصدرك غير صادق وأنه موتور، فقلت لهم: إن لدى ما أقوله وفى النهاية نحن لسنا ضد أحد ولا مع أحد.

بدا أن الأنبا بيشوى قد انزعج مما نشر وقد أدركت مدى انزعاجه بعد أن دخل على الخط المستشار لبيب حليم نائب رئيس مجلس الدولة،تعجبت فى البداية من وساطته ، فالمستشار لا تربطه علاقة مباشرة بالأنبا بيشوى فما الذى يجعله يتدخل وبهذا الإلحاح؟

فى مكتب رئيس التحرير عادل حمودة عرفت الإجابة، سألت المستشار لبيب

الذى زارنا فى الجريدة مباشرة عن هذه الوساطة ،فقال: إن زملاءه فى مجلس الدولة وهم فى الوقت نفسه أعضاء فى المجلس الملى تحدثوا معه وقالوا له: إنه على علاقة جيدة بالصحافة، وطلبوا منه أن يتحدث معنا حتى نجلس مع الأنبا بيشوى حتى يوضح لنا الأمور.

دعا المستشار لبيب رئيس التحرير، ودعانى للحوار،اعترضت فى البداية أن نذهب إلى الأنبا بيشوى، فإذا كان يريد أن يوضح بعض الأمور فعليه أن يأتى إلى مقر الجريدة، فنحن نستقبل فيها وزراء وشخصيات عامة لها وزنها، لكن المستشار لبيب قال: إن الرجل يدعوكم إلى لقائه فى دير الملاك ويلح فى ذلك، ولا أرى مشكلة فى الاستجابة لرغبته.

انحاز رئيس التحرير إلى أننا يمكن أن نتغاضى عن الشكل البروتوكولى فى اللقاء بشرط أن يتحدث الأنبا بيشوى بصراحة عن كل شيء، وأن يجيب على أسئلتنا كلها دون أن يتحفظ على أى سؤال منها، تعهد المستشار لبيب أن يفعل ذلك.

وفى اليوم التالى عندما التقيت بالمستشار لبيب فى بيته قلت له: إننا وافقنا على مقابلة الأنبا بيشوى بشرط أن يلتزم باللقاء، سنذهب إليه فى الموعد - الذى كان فى الثامنة مساء - المحدد، ولن يكون مقبولا أن يقال لنا :إنه فى الطريق أو إنه فى مكتبه وعلينا أن ننتظر، فهو الذى يريد اللقاء وعليه أن ينتظرنا، وبالفعل وصلنا إلى مكان اللقاء فوجدنا الأنبا بيشوى ينتظرنا وبعد دقائق من التعارف بدأنا فى الحديث.

تطرقنا إلى كثير مما قاله الشاب القبطى لنا وأجاب الأنبا بيشوى،لكنها كانت مناسبة لأن نفتح أخطر ملفات الكنيسة مع الرجل القوى الذى من المنتظر أن يكون هو الرجل القادم فى الكنيسة المصرية.

هذه مقدمة لازمة ليعرف من يقرأ كواليس ما جرى فى الغرف المغلقة ، فقد كان القراء ينتظرون حلقات عن الأنبا بيشوى فإذا هو نفسه يتكلم والفارق كبير ....والآن نبدأ

يمكن أن توجه إلى الأنبا بيشوى بحكم مناصبه الكثيرة فى الكنيسة المصرية مليون سؤال،وتأكد أنه يمتلك عليها كلها إجابات لا توجد عند أحد غيره،وإذا لم تكن لديه معلومة فإنه يحيلك مباشرة إلى من لديه المعلومة.

حدث هذا أكثر من مرة ونحن نحاوره،تحدث الأنبا بيشوى كما لم يتحدث من قبل،ولا أخفكيم سرا أننى فى لحظات كثيرة كنت أشعر أنه يرغب فى أن يتحدث ولأطول فترة ممكنة، قد يكون ذلك لأن هناك سوء تفاهم كبير بينه وبين الشارع القبطى ويحتاج إلى أن يزيله.

وقد يكون السبب أنه يشعر أنه مقدم على فترة جديدة ولابد أن يسوق نفسه للناس بشكل مختلف، فيصبح شخصا آخر غير الذى عرفه المسيحيون خلال السنوات الماضية.

لم ينكر الأنبا بيشوى أنه رجل حديدى، وأنه قوى بل قال باسما:إنه يعرف أن كثيرا من الأقباط يطلقون عليه الأنبا «بيشوى» من الشواء فهو يشوى معارضيه.

ولم يقل لنا أن هناك من الأقباط من يطلق عليه كذلك الأنبا «بشوك» فأشواكه أكثر من وروده، وإذا اقتربت منه ولو بالمصادفة فلابد أن يصيبك أذاه،قال : إن الخوف منه طبيعى فهو رجل المحاكمات الكنيسة الأول،ثم أن أى مؤسسة لابد أن يكون فيها شخص مرهوب الجانب حتى تستقر لها الأحوال.

أعتقد أن الأنبا بيشوى كان يستعد لنفتح معه ملفات هو طرف فيها بشكل شخصى،لكننا فضلنا أن نفتح معه ملفات الكنيسة الكبيرة،التى لم أجد لها جوابا شافيا عند كثيرين غيره،وبعضهم أساقفة لكنهم لا يعرفون شيئا خارج دوائرهم وكم هى ضيقة هذه الدوائر.

قد يكون كل ما يقوله الآخرون عن الأنبا بيشوى وكل ما يظنونه فيه صحيح، بل قد يكون هناك ما هو أكثر، فالملفات التى يديرها الرجل أكبر من أن تحصى ، لكن ما لم يلتفت له أحد من قبل أن الأنبا بيشوى فى الكنيسة هو أمين سرها، الرجل

الذى تتجمع لديه كل الوثائق والأوراق الخاصة، لدرجة أن البابا شنودة عندما يريد أن يكتب شيئًا موثقا يطلب الوثائق من الأنبا بيشوى.

نحن إذن أمام الرجل الذى يعرف كل شيء ولذلك لم نضيع وقتنا معه فى مناقشة قضايا فرعية دخلنا إلى قلب ما يجرى خلف الأبواب المغلقة.

***

يقف الأنبا بيشوى فى مرمى السهام كثيرا لأنه المسؤول عن ملفات المحاكمات فى الكنيسة.

قلنا له:أنت متهم دائما أنك تنفرد بالمحاكمات الكنسية وتصدر لأحكام القاسية بمفردك ..فلا أحد يعرف ماذا يدور ولا كيف تتم المحاكمات؟

قال: أنا لا أجرى المحاكمات الكنسية بمفردى بل معى آخرون.

قلت له:لا أحد يعرف عنهم شيئًا ...قل لنا إذن من هؤلاء ؟

قال:المحكمة تتكون من ٤ كهنة من أكبر كهنة القاهرة ويرأسهم البابا شنودة أو البابا عموما أو من ينيبه عنه فى رئاسة المجلس،والمحكمة الكنسية لها فرعان الأول خاص بالأحوال الشخصية والثانى بالمحاكمات،وكنت مسؤولاً عن الاثنين حتى شعرت بضغط العمل فاعتذرت عن قسم الأحوال الشخصية سنة ١٩٨٩ وكان الأنبا بولا مساعدى فطلبت من البابا أن يوليه المجلس الأكليريكى للأحوال الشخصية وسلمته الملفات..واقتصر عملى على ملف المحاكمات فقط.

قلت له:ومتى بدأ عملك فى ملف المحاكمات؟

قال:أنا مسكت المجلس من ١٩٨٦، وكان فيه وقتها ٤ آباء كهنة، وأحيانا كان بيتوفى واحد فيتم تعيين واحد غيره،والآن أنا معى فى المحكمةِ القمص ميخائيل فهمى، وهو كبير كهنة الكنيسة البطرسية، والقمص بولس عبد المسيح أستاذ القانون الكنسى فى الكليات الإكليريكية وقد عمل بالمحاماة فترة طويلة،ولما توفى القمص بطرس جيد ابن شقيق البابا تم تعيين القمص داود تادرس مكانه،ولما

توفى داود تادرس واستقال من المجلس سريال فهمى طلبت من البابا أن يعين الأنبا أرميا سكرتير البابا فى المجلس لأننى أشعر الآن أن العبء أصبح على كثيرا فلدى شؤون كثيرة .

قلت له:طلبت تعيين الأنبا أرميا لتخفيف العبء أم ليحمل معك الهجوم الطاغى عليك وعلى أحكامك التى تصدرها؟

قال:فى الحقيقة لقد شعرت أنه لابد أن يكون هناك صف تانى،يعنى أنا دربت الأنبا بولا معايا وهو الآن يتولى ملف الأحوال الشخصية،وعندما طلبت تعيين الأنبا أرميا ليسد مكانى عندما أكون مشغولا فذلك من أجل تخفيف العبء عنى،ثم أنا لن أعينه،لقد التمست من البابا فقط وهو الذى يعين.

قلت:لماذا لا تترك ملف المحاكمات إذن إذا كان يشكل عبءًا عليك وتتركه كله للأنبا أرميا؟

قال:لقد طلبت تعيين الأنبا أرميا إلى جوارى ليساعدنى ،ففى حالة غيابى لأى سبب هو الذى يرأس جلسة المحاكمة لأنه عضو رسمى وأسقف، فقد يكون لدى موعد مهم.

قلت:وهل يمنعك الموعد المهم عن جلسة محاكمة يتحدد فيها مصير أحد الكهنة؟

قال:هذا نادرا ما يحدث..لكن يمكن أن تمتد الجلسة إلى أكثر من ٣ ساعات فاضطر إلى مغادرة القاعة بعد ٣ ساعات لارتباطى بموعد مهم، والآن نحن أربعة فى المجلس وفى انتظار أن يعين البابا أحدًا مكان سريال فهمى فقد عين الأنبا أرميا مكان داود تادرس ولا يزال مكان سريال شاغرا.

قلت له:كثير من المحاكمات تكون قاسية وتتم فى ظروف قاسية يصفها من خضعوا لها بأنها تهدر آدميتهم؟

قال:لم نخترع المحاكمات الكنسية فهى موجودة فى الكنيسة طول

عمرها،ولست وحدى الذى أحاكم فهناك محاكمات تتم فى المجالس الإكليريكية الفرعية فى الأبراشيات ،ومن حق أسقف الإبراشية أن يوقف كاهنًا لديه، لكن لو استأنف الكاهن الحكم يأتى إلينا هنا فى القاهرة ،وبالفعل حكم على كهنة كثيرين فى أبراشيتهم وعندما لجؤوا إلينا أعدناهم مرة ثانية إلى عملهم.

قلت:لكن لماذا توصف محاكماتك دائما بأنها ظالمة؟

قال:قليلون جدا من ندينهم وكثيرون من يحصلون على البراءة،والفارق بين محاكمات زمان والآن أن الإعلام أصبح أكثر اهتماما بما يجرى فى الكنيسة ومن يعاقب يكون صوته أعلى ويصور الأمر على أنه ظلم ...وهذا ليس صحيحا..فهو يحاكم أمام محكمة من أعضاء وليس من فرد ولا يصدر الحكم إلا بعد أن يصدق البابا عليه.

***

قلت للأنبا بيشوى: لماذا يشكو الكهنة من سوء أحوالهم المادية؟

قال:لا يشكو أحد فى أبرشيتى من المسألة المادية ..فأنا بعد ما اترسمت مباشرة عملت تأمين على الحياة داخل المطرانية لجميع الآباء،وعندى الوثائق التى تؤكد ذلك.

سألته:وهل هذه مبادرة شخصية منك أم أنها سياسة عامة تحكم الكنيسة كلها؟

قال:أنا أتحدث عما حدث فى إبراشيتى ..أما عن مرتبات الكهنة فقد عقدنا مؤتمرين فى الفيوم وطلبنا من الكهنة أن يحضروا ومعهم زوجاتهم،والمحاضرات التى ألقيت عليهم موجودة ومسجلة وهى عن المعاشات والمرتبات،وهذا موضوع تحت البحث ومحضرين توصيات للجنة رعاية الخدمة ولجنة شؤون الأبراشيات.

قلت :هل زودتم مرتبات الكهنة فى الفترة الأخيرة بعد الزيادة الرهيبة فى الأسعار؟

قال: إلى جوار الزيادة السنوية التى تتراوح من ١٠ إلى ٢٠ ٪ زودنا المرتبات ٢٠٠ جنيه مرة واحدة لكل واحد، ثم أن الشعب يقول مثلا دارجا وهو :يوم فى الفروجية ولا سنة فى السعودية، والفروجية هى عباءة الكاهن وهو مثل يؤكد أن دخول الكهنة كبيرة،فالكاهن يحصل على ١٥٪ من التبرعات التى يجمعها من الشعب،والناس بالفعل تحسد الكهنة على الدخل بتاعهم.

ويضيف الأنبا بيشوى: قبل أن تحدث المظاهرات فى المحلة يوم ٦ إبريل وأنا الآن النائب البابوى هناك ،كنت يوم ٤ من إبريل ألقى محاضرة فى الكلية الإكليريكية وعملت مبادرة من عندى حيث رفعت جميع المرتبات ١٠٠ جنيه ورجعت رفعتها تانى ١٠٠ جنيه، وضربت مساعدات الأسر الفقيرة فى مرة ونصف،فالأسرة التى كانت تحصل على ٦٠٠ جنيه تأخذ ٩٠٠ جنيه،وهو كلام مسجل.

قلنا له:من أين تدفعون كل هذه المرتبات والزيادات؟

قال:من إيرادات الكنيسة.

قلنا:وهل هذه الإيرادات سرية؟

قال: بالعكس..الإيرادات عبارة عن تبرعات من الشعب، وكل تبرع يحصل صاحبه على إيصال، هذا غير التبرعات عن طريق الصناديق وهناك لجنة فى كل كنيسة تقوم بعمل محضر لفتح الصندوق الموجود فيها لإثبات الإيراد.

قلت:وتبرعات الخارج...وأموال أقباط المهجر؟

قال:أقباط المهجر يرسلون شيكات للكنيسة ويحصلون مقابلها على خصم ضريبى .

قلت له:أى مؤسسة فى الدنيا نستطيع أن نسأل عن إيراداتها ومصروفاتها ..فهل نستطيع أن نعرف رقما محددا لإيرادات الكنيسة ومصروفاتها مثل بقية مؤسسات المجتمع العامة والخاصة؟

قال:كل كنيسة لها مجلس كنيسة يكون فيه محامون،وهذا المجلس يراجع

الوارد والمنصرف،ولما جيت مثلا أبنى كنيسة العذراء بدمياط فتحت لها حسابًا خاصًا فى البنك باسم مجلس إدارة الكنيسة وهو موجود حتى الآن،وقلت لهم لا أريد أن يقول أحد أنى أخذت فلوسًا من شعب دمياط لأعمر بها دير القديسة دميانة.

وعملت نفس الشيء فى كنيسة الشهيدة دميانة الجديدة فى كفر الشيخ والمجلس بتاع الكنيسة ماسك الحسابات،وعندى حساب المطرانية منفصل وأقول لمجلس الكنيسة كعوب الشيكات عندكم اطلعوا عليها أول بأول حتى تطمئنوا أن كل التبرعات توضع فى الرصيد.

قلت:لكن هذا الكلام لا يعنى أن هناك رقابة على أموال الكنيسة ...وعلى سبيل المثال فلائحة إنشاء المجلس الملى تقول: إن للمجلس سلطة المراقبة المالية على الكنائس وحتى الآن المجلس الملى ومنذ تولى البابا شنودة مسؤوليته لم يراجع أى مستند مالى؟

قال:المجلس الملى ألغى فى عهد البابا كيرلس، وكان لديه حق لأنه كان بيعاكسه،وعندما جاء البابا شنودة طلبت الدولة عودته، فأعاده البابا وأصدر قرارا بترسيمهم شمامسة حتى يكونوا وهم يؤدون عملهم الكنسى مؤيدين من الرئاسة الكنسية، وقد اعترض على ذلك الأنبا غريغرويس أسقف البحث العلمى وقتها ونشر هجومه فى جريدة وطنى وغضب منه البابا فاعتذر له على صفحات وطنى أيضا .

والمجلس الملى العام يراقب جميع أملاك البطريركية وهيئة الأوقاف القبطية تشرف على حسابات جميع الأوقاف القبطية فى جميع الأوبرشيات ما عدا أبراشية البابا شنودة، فهيئة الأوقاف لا تعين نظارًا على أبراشية القاهرة، ويَشرف الجهاز المركزى للمحاسبات على عمل هيئة الأوقاف القبطية.

قلنا:وهل تستثمر الكنيسة أموالها؟

قال:أنا شخصيا عملت عندى فى الأبراشية مصنعًا للموبيليا ينتج حاجات رخيصة للفقراء عشان العرسان ويمكن أن نمنحها لهم مجانا.

قلت:لا نتحدث عن المشروعات الخيرية التى تقوم بها الكنائس ولكن نتحدث عن الاستثمار والمشروعات الكبيرة التى تدر مكسبا وربحا هائلا على الكنيسة؟

قال: طبعا كل إنتاج الأديرة الذى يزيد على حاجة الرهبان يباع وتعمر به الأديرة ويساعدوا الأبراشيات الفقيرة أو العائلات الفقيرة ...يعنى الرهبان هيعملوا إيه بالفلوس..

قلت:وهل تصدر الكنيسة بعض إنتاجها للخارج؟

قال: أنا مش متأكد لأن التصدير صعب وأعتقد إن لو فيه تصدير هيكون من خلال شركات خارجية وليس من خلال الكنيسة.

***

يظل مستقبل الكنيسة هو الملف الأكثر حساسية الآن،لكن هذا لم يمنعنا أن نقتحمه بصحبة الأنبا بيشوى.

قلت له: لا نسمع الآن عن الكنيسة إلا ما يدور حول الصراع عمن يخلف البابا ... والصراع حول تعديل اللائحة التى يتم على أساسها اختيار البابا..لن أسالك عما يدور خلف الكواليس،لكن وبعد عمر طويل إن شاء الله للبابا شنودة سيكون من حقك كما من حق بقية الأساقفة والمطرانة أن يرشحوا أنفسهم للمنصب...فهل سترشح نفسك ،وهل هناك توجه لتعديل لائحة اختيار البابا؟

قال:أنا تناقشت مع البابا فى هذا الموضوع:

قلت:الترشيح ولا اللائحة.

قال:فيمن يمكن أن يرشح نفسه للمنصب...وكانت هذه المناقشة تقريبا بعد أن عاد من رحلة علاج فى أمريكا استمرت ٤ شهور،فتح هو الموضوع وكان الأنبا

أرميا سكرتيره موجودا فى هذه الجلسة، وقال: إنه يسمع كلاما كثيرا يتردد فى الصحف عن خلافة البابا ومن سيأتى ومن سيرشح نفسه ومن يتصارع مع من حتى يحظى بالمنصب،وقلت له إننى أعلنت رأيى قبل ذلك فى الأهرام العربى.

ويعود الأنبا بيشوى بالذاكرة إلى أكثر من ٨ سنوات،حيث نشرت مجلة الأهرام العربى تحقيقا عن خلافة البابا وغضب البابا وقتها بشدة لأنهم قالوا : إنه مريض وكان هذا الكلام قبل أن يجرى العملية التى أجراها فى العمود الفقرى.

يقول الأنبا بيشوى: ولما غضب البابا كلمت أنا أسامة سرايا الذى كان رئيسا للتحرير وقتها ونقلت له غضب البابا ،فقال: إن هذا الكلام لا يرضيه فهو صديق للبابا ،وأرسل من أجرى تحقيقا آخر عن هذه القضية وتحدثت فيه أنا والأنبا موسى الذى قال: إن مجرد التفكير فى هذا الكلام يعتبر خطيئة.

أما أنا فقلت: إن مطران الأبروشية يعتبر متزوجا من أبراشيته وهو على كرسيه يمنع أن يجلس على كرسى آخر ،ولما سئلت مؤخرا:هل تمنع اللائحة الحالية ترشيح الأسقف أو المطران على الكرسى فقلت: إن اللائحة لا تمنع لكن قوانين مجمع نيقيا المسكونى تمنع ترشيح أسقف الأبراشية لنفسه وأنا ملتزم بقوانين مجمع نيقيا.

قلت:وهل لا تزال ملتزما بقوانين نيقيا حتى الآن؟

قال: نعم أنا ملتزم بها...لكن البابا عندما فتح الموضوع مؤخرا وناقشنا الموضوع طلب رأيى فقلت له: لقد سبق وأعلنت رأيى يا قداسة البابا...وأنا بره الموضوع، ففؤجئت بالبابا يقول لى: إزاى تقول الكلام ده...كل بطاركة الكنائس الأرثوذكسية فى العالم سواء البيزنطية أو العائلة بتاعتنا كان لديهم أبراشيات أو كانوا مطرانة وأساقفة.

قلت له يا سيدنا قانون مجمع نيقيا رقم ٢٠ يقول: إن الأسقف أو القس أو الشماس لا يترك مذبحه الذى رسم عليه، فقال لى البابا: قوانين مجمع نيقيا

ليست كلها حقيقية ففيها قوانين أصلية وقوانين أضيفت إليها بعد ذلك والقانون الذى تقول عليه ليس من قوانين مجمع نيقيا الأصلية، فالمطران من حقه أن يرشح نفسه،ويعد هذا الحوار الذى دار بينى وبينه كان البابا فى لقاء تليفزيونى، وعرفت أنه – حيث إننى لم أشاهد البرنامج بنفسى - دافع بشدة عن المحاكمات الكنسية، وقال: إن الأنبا بيشوى لا يفعل أى شيء دون أن يرجع لى، وقال أيضا : إن المطران أو أسقف الأبراشية من حقه أن يرشح نفسه.

قلت:معنى ذلك أنك غيرت رأيك؟

قال: أى رأى أقوله الآن يبقى وكأنى بأغلط البابا ..أنا الآن فى موقف حرج عندما كان يسألنى أحد عن موقفى كنت أقول رأيى الواضح والصريح أما الآن فماذا أقول بعد رأى البابا.

قلت له: ولائحة انتخاب البطرك؟

قال:أنا أقول دائما : إن هذه اللائحة هى التى أتت لنا بالبابا كيرلس والبابا شنودة ...وهذا يكفى فلماذا تريدون تغييرها.

***

إذا كنت تعرف الأنبا بيشوى جيدا فلن تتعجب من طريقته الصادمة فى الكلام،فهو رجل يشغل ما يمكن أن نطلق عليه منصب قاضى القضاة فى الكنيسة،ولذلك فهو لا يتحرج من قول الصراحة المطلقة التى يمكن أن تجرح وفى كثير من الأحيان تذبح.

لكن إذا كنت لا تعرف الرجل القوى فى الكنيسة الذى يلقبه الجميع من يحبه ومن لا يفعل ذلك بالرجل الحديدى،فسوف تتعجب كثيرا من هجومه المباشر على خصومه،للدرجة التى يمكن أن تقول معها: إن هذا رجل لا مكان للتسامح فى قلبه.

لكن عندما تنصت جيدا إلى وجهة نظره ستعرف أنه يفعل ما يفعله ويقول ما

يقول من أرضية أنه يحمى الكنيسة مما يراد بها ويحمى الأرثوذكسية مما يخطط لها من الجميع، ولذلك كان طبيعيا أن يطلق عليه المقربون منه والمروجون له أنه جارس بوابة مدينة الإيمان الأرثوذكسى.

وهذه ملفات شخصيات اشتبك معها وهاجمها وانتقد مواقفها وآراءها،والغريب أن الخلافات ليست فكرية فقط ولكنها وصلت إلى درجة الخصومة الشخصية،ولأن الملفات حرجة وساخنة، فقد آثرت أنا أترك كلام الأنبا بيشوى كما هو بعاميته وتعبيراته التى يمكن أن يستنكرها البعض،من باب الأمانة فى العرض من ناحية ،ومن ناحية ثانية وهذا مهم أيضا لنعرف إلى أى مدى وصلت الخلافات بين الرجل الثانى فى الكنيسة وبين شخصيات لها أثر بالسلب أو بالإيجاب على الملف القبطى فى مصر.

زكريا بطرس

لا يعرف الأنبا بيشوى شيئًا عن الأب يوتا وأنا أصدقه فى ذلك،لكنه يعرف أشياء عن زكريا بطرس،قلت له:الكنيسة أعلنت أنها تحقق فى موضوع الأب يوتا، لكنها لم تفعل شيئًا فى إساءات وبذاءات وافتراءات زكريا بطرس على الإسلام... هل لديك تفسير لذلك؟

قال:مشكلة زكريا بطرس بدأت عندما جاءتنا شكاوى من كنيسة بإنجلترا كان يخدم فيها ،وكان عمل انشقاقًا عنيفًا قبل كده فى كنيسة مار جرجس بأستراليا للدرجة اللى إتدخل فيها الأمن الأسترالى،وكانت النتيجة إنه أخد شنطته ورحل.

ومما يجب أن يعرفه الجميع أن زكريا ليس أرثوذكسيًا ولكنه خمسينى،والخمسينيون يعتقدون أنهم يعملون معجزات ويتحدثون بلغات غير مفهومة وأنهم يستطيعون تغيير العالم،ولذلك فهم يخططون لغزو الكنائس الأرثوذكسية وغير الأرثوذكسية...أى أنهم يمثلون خطرا على الجميع.

سألته:وهل أخرجتموه من الكنيسة لأنه خمسينى؟

قال: قصة زكريا طويلة،فقد تم إيقافه عن الخدمة فى عهد البابا كيرلس لمدة سنة،وانتقل من طنطا إلى مصر الجديدة لأنه كان عامل شوشرة،وفى مصر الجديدة بدأ يزيد حتى وصل للقمة،فعقد له البابا شنودة مجلس إكليريكى لمحاكمته ودخلت أنا فى هذه المحاكمة كعضو منتدب،وتوقف عن الخدمة حوالى ٨ سنوات من ٧٨ إلى ٨٦،وكان سبب إيقافه أنه خمسينى، ويدعى أنه يخرج الشياطين من الجسد وكان يصرخ وهو يعظ ويوبخ الناس توبيخات عنيفة،حتى اعتقد الناس أن هذا ما سيجعلهم يتوبون عن الخطايا.

وحتى يعود مرة أخرى بعد الإيقاف أصدر كتابين عن العقائد الخمسينية واحدًا تحت إرشادى ضد التحدث بالألسنة واللغات غير المفهومة ،والثانى ضد فكرة الخلاص فى لحظة،وكان البابا أصدر كتابًا عن نفس الموضوع وقال بعد ما أطلع كتابى هو يطلع كتابه، وهو ما حدث فعلا،ولما أصدر الكتابين المجلس الإكليريكى - وأنا كنت فى الوقت ده مسؤول فيه - قدم تقريرا للبابا وقال فيه: إن زكريا خلاص تراجع عن أفكاره الخمسينية،وبالفعل رجع إلى الكنيسة،بعد أن خاض صراعا معى، فقد كنا على خلاف، ورغم ذلك وقعت على التقرير الذى أرجعه.

سألته:وما هو نوع الخلاف بينك وبينه؟

قال:أنا كنت ضده وتصديت له أكثر من مرة داخل القاعة التى يعظ فيها فى مار مرقس قبل إيقافه،وهناك اشتبك معى أمام الشعب وقال لى : إنت جى تعارضنى هنا فى المكان بتاعى،وكان موقفًا سيئًا جدا منه.

قلت:ولماذا خرج من الكنيسة مرة أخرى بعد أن عاد إليها؟

قال:وجدوا عنده فى البيت شريطًا يقول فيه: إن البابا شنودة ينتمى إلى المذهب الخمسينى، فلما سمع البابا هذه الكلام قال: إن زكريا بطرس بيعض الإيد اللى اتمدت له بالخير،وقدمه للمجلس الإكليريكى، وتم إيقافه مرة ثانية،لكن عندما تم

اعتقالنا فى اعتقالات سبتمبر وكان هو معانا تقرب منا لأنى كنت موجودًا معه فى نفس العنبر،ولما خرجنا قابل البابا وبدأ يعتذر عن الأخطاء التى وقع فيها،فطلب البابا أن نعمل له مجلسًا إكليريكيًا لنفحص أموره،وعاد بعدها.

قلت:لكنه هذه المرة لم يعد إلى الخدمة فى مصر.

قال:تم انتدابه إلى أستراليا وعمل انشقاقًا فى الكنيسة فسافر إلى إنجلترا،وجاءتنا من كنيسة إنجلترا ١٤ شكوى فى حقه وكانت أهم نقطة فى هذه الشكاوى أنه يهاجم الإسلام من على المنبر،والخطر أنه بذلك يعرض الكنيسة والموجودين فيها للخطر من الجماعات الإسلامية هناك،فيمكن جدا أن يفجروا الكنيسة،ثم أنه ضرب واحدًا من رعيته بالشلوت جاب له عاهة مستديمة،فالبابا قرر ينقله،وقال لى اتصل به وقل له:إن البابا يطلب منك أن تترك إنجلترا وتذهب إلى الدنمارك،لكنه رفض وقال لى : أنا عديت الستين وعاوز أطلع معاش وصحتى لا تساعدنى لأخدم فى دولة أخرى وأنا استقريت هنا خلاص.

قلنا :يمكن لما يستقيل يريحنا من وجع القلب اللى سببه لنا،طلبت منه أن يرسل إلينا باستقالة مكتوبة،فأرسلها وطلب منا معاشًا مثل بقية الكهنة،وكنا نتصور أنه سيجلس فى البيت ويهدى وخلاص،لكننا فوجئنا أنه ذهب إلى أمريكا ودار فيها وبدأ يعمل اجتماعات فى كنائس غير أرثوذكسية.

سألته:وهل منحتم معاشه بعد أن خرج عن طاعة الكنيسة؟

قال:مش ممكن ياخد معاشًا،هو إحنا نعرف له طريقًا.

قلت:يعنى إيه تعرفوا له طريق،إنتم متعرفوش زكريا بطرس فين؟!!!

قال:هو لو معروف له مكانًا كانوا قطعوه وهو نفسه قال كده،هو مختفٍ تمامًا ولا نعرف له مكان،وما نعرفه عنه أن له ابنا اسمه بيتر عمل كنيسة مستقلة فى إنجلترا ويبطلع على التليفزيون ويتكلم ضد العقائد الأرثوذكسية.

قلت له:نرجع إلى زيارته إلى أمريكا مرة ثانية...ماذا حدث فيها؟

قال:فى أمريكا عمل اجتماعات وبدون إذن الأساقفة هناك وفى واحد من الاجتماعات وقفت له إحدى السيدات وقالت له:إنت بتقول إنك جى تكرز بالمسيحية والحقيقة إنك جى تلم فلوسًا،لأنه كان يقول لهم:تبرعوا من أجل تدعيم الكرازة بالمسيحية للمسلمين،اعتقدوا أنه سيتكلم عن الإنجيل والمسيح، لكنه تحدث عن الإسلام،وبعد ذلك تلقفته قناة الحياة ولما بدأ هجومه على الإسلام قرر المجمع المقدس إيقافه نهائيا،وفى هذه الجلسة شرحت أخطاءه التى كانت مسجلة على شرائط،وهذه الشرائط واجهته بها بعد خروجنا من السجن فقال لى: أرجوك كفاية أنا مش مستحمل أسمع الكلام ده،ثم قال: أنا مستعد أعمل كل اللى إنتم عايزينه،لكنه لم يمتثل لما قاله.

سألته:وما رأيك فيما يفعله فى قناة الحياة وتحديدا فى هجومه على الإسلام؟

قال:قناة الحياة هذه التى تملكها واحدة خمسينية مثله،ومعهم راهب مشلوح اسمه إدوارد وكان هنا اسمه دانيال البراموسى ومعاهم مرنم خمسينى،ويبدو أنهم إتلموا على بعض،وقال زكريا إنه يحصد شعبية الأول فهاجم الإسلام،وإستغل إن فيه حالة من الهجوم على الأقباط، والنفوس تعبانة،وبعدين بدأ يهاجمنا، ويقول كلامًا ضد الكتاب المقدس وكأنه يريد أن يصفى حساباته معنا.

قلت :لقد قلت : إن زكريا بطرس يهاجم الكتاب المقدس...وهذا كلام غريب بعض الشيء؟

قال:الكتاب المقدس يأمرنا ألا نهاجم أحدا...والمسيح ولد فى عصر كانت فيه ديانات أخرى لكنه لم يهاجم البوذية أو الهندوسية مثلا، وكانت موجودة،وعندما فعلها المسيح هاجم من يخالفون تعاليم دينهم،لكنه لم يهاجم شخصا بعينه أو باسمه.

قلت له:هناك إحساس أن الأقباط فى مصر ورجال الدين المسيحى يخفون إعجابا بما يفعله زكريا بطرس فى الإسلام ونبى الإسلام؛ لأنه يفعل شيئًا لا

يقدرون هم عليه؟

قال:سألونى أكثر من مرة، لماذا لا تأخذون موقفا ضد زكريا بطرس؟أقول: نحن أوقفناه عن الخدمة لأنه خرج عن تعاليم الأرثوذكسية،لكنه الآن خرج عن التعليم المسيحى كمان،فالتجريح والأسلوب غير اللائق اللى بيستعمله يحتم أن نفكر فى عمل مجلس حكماء ومن يخطئ يحاسب، فليس معقولا أن أحاكم زكريا بطرس وأترك آخرين يسيئون للمسيحية هنا فى مصر، ويتهمون أهلها بالكفر دون عقاب.

الأب يوتا :

قبل ساعات من الجلوس مع الأنبا بيشوى كنت قد شاهدت نسخة كاملة من فيلم «فتنة محمد» الذى وقف وراءه بعناد وطائفية من يطلق على نفسه الأب يوتا، حمل الفيلم إساءات بالغة للرسول ﷺ ،إتهمه بأنه اغتصب السيدة عائشة وهى طفلة صغيرة وأنه ذبح ٦٠٠ يهودى بيده وأن القرآن يحرض المسلمين على ذبح الآخرين،سألته عن هذه الشخصية الغامضة،وقلت له : إن الكنيسة أعلنت أنها تحقق فى هذا الملف،لكن لا حس ولا خبر عن التحقيق ولا عن يوتا.

قال:عن نفسى لم أقرأ للأب يوتا هذا أى شيء،وعرفت أنه أصدر كتابا لا أستطيع أن أتلفظ باسمه(يقصد كتاب تيس عزازيل فى مكة)،وأعتقد البعض أننى الذى كتبت هذه الرواية ردا على رواية يوسف زيدان «عزازيل»، وهو خطأ مطلق،لأننى بعد أن أنتهى من الرد على «عزازيل» سأصدر الرد فى كتاب عليه اسمى وبصراحة دون مواربة.

قلت: هناك أسماء بعينها فى الكنيسة أشير إليها على أنها الأب يوتا،لكن الكنيسة لم تجتهد فى الكشف عن هذه الشخصية التى لا تتوقف عن الإساءة للإسلام.

قال:وأنا فى مؤتمر الفيوم جاءنى سؤال عما يفعله الأب يوتا،وقلت: إن الأسلوب الذى يتبعه يوتا ضد المسيحية وضد الكتاب المقدس ولا نقبل هذا

الأسلوب مطلقا،وقلت إننا لا نعرف هذا الشخص،وقد يكون اسمًا حركيًا لشخصية معينة،وأضيف لك الآن أن كلمة الأب نفسها يمكن أن تكون كلمة مستعارة ليوحى أنه رجل دين مسيحى.

سألته:هل أجرت الكنيسة تحقيقا فعلا للكشف عن يوتا، أم أن تصريحها كان لمجرد الاستهلاك الإعلامى وتهدئة الشارع؟

قال: لم أجر هذا التحقيق بنفسى،لكنى حاولت أن أتقصى عنه،وهل هو أبونا فلوباتير كاهن كنيسة الطوابق بفيصل،وكانت له مشكلة سابقة عندما كتب مقالا فى إحدى الصحف بدا منه أنه يستخف ببيان النائب العام، الذى صدر بعد أحداث كنيسة محرم بك فى الإسكندرية،حققنا معه وصدر حكم بإيقافه ٣ سنوات عن الخدمة لكن العقوبة تم تخفيفها وقد تدخلت من أجل ذلك،وقضى منها فعليا سنة ونصف فقط،لكن ليس هو الأب يوتا.

قلت:أنت تحريت عن فلوباتير فقط لكن هناك أسماء أخرى فى هذا الملف منها مثلا القمص مرقص عزيز الذى خرج من مصر إلى أمريكا ولم يعد،ومنها الكاهن متياس نصر منقريوس كاهن كنيسة المرج،فلماذا لم تتحر عنها.

قال:أنا سمعت إن متياس أنكر أن تكون له علاقة بهذا الموضوع.

قلت:وهل لديك تفسير لتوقف تحقيق الكنيسة فى هذا الموضوع؟

قال: منذ أن عرفت بهذا الموضوع وأنا أبحث لكن أنا لا حققت مع أحد ولا عملت جلسة،فإذا كان هناك فى الكنيسة من قام بالتحقيق فأنا لا أستطيع أن أنفى،فأنا يمكن أن أقول: إنه لم يحدث تحقيق ويكون حدث فعلا،ويكون البابا كلف أحدا من الأساقفة والسكرتارية بتاعته بالتحقيق،لكن أنا كمجلس إكليريكى لم أحقق فى الموضوع لا بمفردى ولا فى هيئة المجلس.

زغلول النجار

على خط الهجوم على زكريا بطرس يقف الأنبا بيشوى ضد الدكتور زغلول

النجار،بل إنه يكاد أن يكون الرجل الأول فى الكنيسة الذى يكتب ردودا على ما ينشره زغلول النجار فى الأهرام ضد المسيحية والكتاب المقدس.

يقول الأنبابيشوى:زغلول النجار يقول: إن موسى لم يكتب العهد القديم،رغم أن القرآن يقول«وآتينا موسى الكتاب»،فالقرآن لم يقل فقط التوراة ولكنه قال الكتاب كله،ثم أنه قال: إن اليهود باعوا أسفار العهد القديم «قراطيس»، وحرقوها كلها ودسوا أشياء فى الإنجيل،والرد على ذلك بسيط ، فالقرآن يقول فى سورة يونس الآية رقم ٩٤ «﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾،فإذا كانت الكتب التى نزلت قبل نبى الإسلام أحرقت وحرفت فكيف يطلب منه القرآن أن يسأل أهل هذه الكتب،ثم إن القرآن طالب أهل التوراة والإنجيل أن يقيموا كتبهم،فكيف نقيم الكتب وهى محرفة أو احترقت أو أن موسى لم يكتبها.

قلت له:أنت ترد على زغلول النجار بآيات من القرآن،وهو أصلا يستخدم آيات من القرآن للهجوم على المسيحية والإنجيل؟

قال:لا ...هو لا يفعل ذلك،إنه يقول الشيء وعكسه طوال الوقت ، فمرة يقول: إن التوراة لم تكتب من الأصل ومرة ثانية يقول: إنها فقدت، ومادامت فقدت، فالمعنى أنها موجودة،ثم أنه لا يعود إلى النصوص القرآنية فيما يقوله:بمعنى أنه نشر هجومه على المسيحية دون أن تكون لديه أية مرجعية ولا إثبات لا نقلى ولا عقلى،أى أن كل كلامه مرسل.

قلت له:لكن هجومك على زغلول النجار أغضب كثيرا من المسلمين؟

قال:أنا لم أهاجم زغلول النجار كشخص ولم أتعرض للعقيدة الإسلامية أو القرآن أو السنة لأن هذا ليس من أخلاقى، وليس من آداب المسيحية كذلك ولكنى كتبت ردا على ما كتبه فى الأهرام.

قلت:الرد الذى قلت أنك أرسلته لجريدة الأهرام ولم تنشره لك؟

قال:لم أقل هذا الكلام بالضبط،فلم أرسل للأهرام ردا،فالرد على ما قاله سيكون كبيرا جدا؛ لأن كل جملة يقولها بشكل عابر ، ويمضى تحتاج إلى بحث،فهو يرمى القنبلة وراءه ، ولا يلقى لها بالا،كأن يقول أن موسى لم يكتب التوراة ،هذه جملة تستحق مقالا كاملا للرد عليها،فلم أرسل الرد لأنى قلت أنهم سيعطون مساحة موازية لما كتبه وهى مساحة لن تكفى لأبين الحقيقة.

قلت:وهذا ما دفعك لأن تغضب من الأهرام؟

قال:فى الحقيقة أنا غضبت من الأهرام لأنها تنشر هجوم زغلول النجار على الكتاب المقدس والمسيحية،قلت: إن الأهرام فى الأساس أسسه أولاد تكلا،وكانوا ناسًا مسيحيين،وأغلب المسيحيين ينشرون نعيهم فى الأهرام،وهى جريدة قومية يملكها المسلم والمسيحى فى مصر،ولذلك لا يليق أن يتم التجريح فى الكتاب المقدس بهذا الشكل.

يوسف زيدان

يمثل هذا الرجل لغزا فى حياة الأنبا بيشوى، فقد كان صديقه،استضاف الأنبا بيشوى فى مكتبة الإسكندرية حيث يرأس مركز الوثائق بها،واستضافه الأنبا بيشوى فى دير القديسة دميانة ليلقى محاضرة فى مبنى الراهبات عن الصوفية،لكن وبعد أن أصدر زيدان روايته «عزازيل» حتى قامت القيامة،ولم يتنه يوم الحساب بعد، ولأن القصة طويلة فقد تركت الأنبا بيشوى يرويها فقط سألته.

قلت:طلب منك يوسف زيدان أن تجلسا سويا حتى تتم تهدئة الموقف الذى سببته «عزازيل» لكنك رفضت مجرد أن تستقبله..ما الذى عكر الجو بينكما هكذا؟

قال: بعد أن أصدر يوسف زيدان روايته «عزازيل» وحدثت مشكلة ،كان بعدها عندنا مؤتمر القبطيات فى الكاتدرائية، وتمت دعوته من منظمى المؤتمر، وليس من الكنيسة،وأنا ألقى كلمة الافتتاح نيابة عن البابا كان هو جالسا فى الصف الأول إلى جوار أحد الأساقفة الضيوف وقال له:على فكرة الأنبا بيشوى بيرد على،رغم أنى لم أذكر اسمه.

قدمت وثائق على ما قلته ووزعت كلمتى التى كانت مكتوبة بالإنجليزية على الحاضرين،فى اليوم التالى ألقى يوسف كلمته بالعربية وفيها«شحور الدنيا خالص»وعندما وقف هانى فايز الذى يدرس اللغة السريانية فى جامعة القاهرة ليرد على زيدان لم يمكنه من ذلك وظل يتحدث حتى انتهى وقت المحاضرة ولم يسمح لأحد بأن يرد عليه من الحاضرين.

محاضرة يوسف زيدان كانت فى منتهى السوء،بل كانت أسوء من روايته «عزازيل»،وبعد كده قال جى عايز يصطلح،قلت له لما أطلع الكتاب بتاعى للرد عليك الأول نبقى نصطلح،وبعدين نصطلح إزاى وهو جاب المسيحية من أصولها فى الأرض ،أساء للجميع، وبعد كده جاب راهبًا خياليًا قال أنه بيزنى مع وثنيات وقعد ٥١ صفحة من روايته يصف الليالى الحمراء التى قضاها الراهب مع الوثنيات.

عن نفسى لم أقرأ هذه الصفحات،ومن قرؤوها قالوا لى: إننى لن أستطيع أن أتحملها،قالوا لى:مش هتقدر تستحمل الوصف الجنسى فيها والأسلوب الخارج فى وصف علاقة الراهب بالوثنيات،وهذه الصفحات فقط هى التى لن أقراها ولن أرد عليها،لكن الأشياء العقائدية والتاريخية والوثائقية هى التى سأرد عليها.

عندك مثلا ما زعمه من أنه جاء بوثيقة سريانية وقال: إنه ترجمها ليوحى للقارئ أنه يعرف السريانية،فأنا طلبت من هانى فايز وهو يعرف سريانى كويس ومتخصص فيه،أن يعمل مداخلة على الهواء، مع يوسف زيدان فى أحد البرامج وقال له ٣ جمل سريانى على الهواء فضحك يوسف زيدان وقالت المذيعة إن هذا يبدو أنه اختبار على الهواء مباشرة.

وماحدث أن يوسف زيدان لم يفهم ولا كلمة واحدة من الجملِ السريانية التى قالها له هانى فايز،ثم ادعى بعد ذلك أنه استعان براهب قبرصى اسمه جوزيَف، ليراجع له الترجمة التى قام بها للمخطوطة السريانية التى قال إنه إستعان بها فى الرواية،لدرجة أن البعض اعتقد أن هناك وثيقة بالفعل رغم أن الأمر كله من خياله لا أكثر.

لقد تجرأ يوسف زيدان على تاريخ الكنيسة ولخبطه جدا،وأكثر اللخبطة حدثت فى تاريخ البابا كيرلس عمود النور البابا رقم ٢٤ فى تاريخ الكنيسة،والبابا أليكسندر رقم ١٩ فى تاريخ الكنيسة،ذكرهم بالاسم وذكر وقائع وأحداث،يوسف خبط فى العقيدة المسيحية بالكتاب بتاعه،ولو هو عامل الرواية عن راهب بيزنى مع وثنيات كنا قلنا :إنها رواية وعيب يكتب مثل هذا الكلام، وينتهى الموضوع،فهى رواية خارجة عن اللياقة والأدب،لكنه خبط فى العقيدة المسيحية مباشرة ولذلك فأنا لم أقبل أن أجلس معه...وسأرد عليه.

ولن يكون ردى عليه سريعا،فمنذ صدرت الرواية وأنا أعمل ولن يكون الرد مهاترات.

استوقفت الأنبا بيشوى وقلت: لكن هل يستدعى كل هذا ألا تقابله وأن تسمع له حتى تصلا إلى كلمة سواء كما يقولون؟

قال:لو كان يوسف يريد الصلح لما قال للأسقف، وهو فى مؤتمر القبطيات أننى أرد عليه الآن،لقد كنت مندوب البابا وكان يمكن أن أقول لهم طلعوا الرجل ده بره لكننى لم أفعل ذلك،أنا لم أشرف على المؤتمر صحيح لكننى لو صممت على ذلك كانوا طلعوه بره،وكان يجلس على يمينه ويساره أساقفة لم أقل لهم قوموا من مكانكم وسيبوا الراجل ده يقعد لوحده،أنا أخذت موقفًا محايدًا، ولم أطلب شطب اسمه من برنامج المؤتمر،وكان فيه سابقة، فمنظمو المؤتمر الألمان كان جايبين واحد يهودى، ولما اتعرفت الدعوة دى قالوا: آسفين، ولم يتمكن من الحضور،كان يمكن أن نفعل ذلك مع زيدان لكن هذا لم يحدث.

زيدان لم يحترم أنه يتحدث فى بيتنا، وتسجيل محاضرته موجود،لقد كرر ما سبق وقاله فى الرواية التى أغضبت الكنيسة،لقد وقف فى الكاتدرائية ومسح بنا الأرض ولم يعط فرصة لأحد كى يرد عليه، فهل هذا أسلوب،وهل بعد ذلك يمكن أن نجلس ونصطلح معه؟

رعاياك يا أنبا بيشوى

الآن أصل بالرجل القوى الذى يشغل مناصب عديدة فى الكنيسة، فهو مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى وسكرتير المجمع المقدس و المسؤول الأول عن ملف المحاكمات الكنسية والمسؤول عن الحوار مع الطوائف الأخرى إلى ملفات جديدة وقضايا لم يعتد على الحديث فيها.

ورغم أن هذه الملفات الكثيرة لا تترك له وقتا، ولو ليلتفت وراءه،فإنه لا يسلم من اتهامات صغيرة على ذمة قضايا من يرعاهم ويتولى رعايتهم الروحية.

وكالعادة كانت لديه آراء وأفكار وأخبار لم تكن لدى غيره،راوغنا فى الحديث عن ملف أعداد الأقباط فى مصر واستعصم بحجة أعتقد أنها لا تشفى غليل أحد،وبنفس الطريقة حصن نفسه من الكلام عن مسؤوليته فى التصدى للمعارضة الكنسية،وإبعاد من يحاول أن يقترب من البابا عن طريقه،كما أنه رفض بشدة ما يقال عن التطرف القبطى والعنف الذى يلجأ إليه شباب الأقباط فى المظاهرات،بل تساءل مستنكرا عن أى عنف تتحدثون؟

أما الملف الذى كان حادا وساخنا فقد كان ملف ابنة كاهن كفر الشيخ التى تطارد الأنبا بيشوى فى الصحف والأديرة والطرقات وتتهمه اتهامات واضحة،وقد خرجنا من قصة ماجدة عبده القمص بيمن إلى ملف الطلاق فى الكنيسة الذى عالجه الرجل كما يعالجه البابا فهو من التابوهات والمحرمات التى لا يجب أن يقترب منها أحد وإلا احترقت أصابعه.

كان الأنبا بيشوى واضحا وصريحا عندما عرض لنا القصة الكاملة لزكريا بطرس الذى خرج عن تعاليم الأرثوذكسية والمسيحية جميعا،سألته عن موقفه منه فتحدث بصراحة،لكن كان هناك سؤال أهم وهو:هل تعرضت لهجوم بسبب انتقادك لزكريا بطرس؟

قال:أنا كنت فى زيارة إلى الخارج والتقيت ببعض أبنائنا هناك،وتحدث البعض منهم

عن زكريا بطرس وما يقوله ويفعله،واعترض بعضهم على انتقادى له،لكننى كنت واضحا معهم،قلت لهم:نحن نعيش فى مصر ولابد أن نحافظ على السلام الاجتماعى الذى نحيا فيه،أنتم تحكمون على ما يحدث فى مصر وأنتم جالسون هنا فى الكنيسة،وبصراحة اللى جدع فيكم ينزل مصر ويقول الكلام الذى يردده زكريا بطرس،فسكتوا جميعا.

وأكملت أن زكريا بطرس عامل حالة لم تعد موجودة فى مصر الآن،إنه يضر الأقباط بما يفعل؛ لأن المسلمين ينظرون إلينا نظرة فيها غضب.

قلت له: أنت لا تعارض زكريا بطرس وحده،ولكنك تقف أمام كل من يخالفك الرأى والمذهب،بل إنك تكفر الطوائف الأخرى وهذا مثبت فى عظاتك التى يتم تداولها على سيديهات.

قال:أنا ضد الهجوم على الإسلام،لأن المسلم يقول: أنا مسلم والمسيحى يقول أنا مسيحى،الحدود تكون معروفة والأديان أيضا،وكل منهما لابد أن يحترم الآخر،لكن المشكلة فى الطوائف المسيحية الأخرى الذين يقولون لأبنائنا فى الأرثوذكسية نحن إخوة فى المسيح،وكل الطوائف مثل بعضها،فلماذا لا تنضموا إلينا وتأتوا إلى كنيستنا،وبذلك يأخذونهم إلى كنائسهم.

من هذه الطوائف من يحصل على أموال من الأمريكان ويقولون لهم :إننا نبشر بالمسيحية فى مصر،ويقصدون بذلك أنهم ينشرون المسيحية،لكن النتيجة أنهم يأتون إلى مصر لا ليبشروا المسلمين ولكن ليبشروا المسيحيين بأفكارهم،وأنا لدى حق عندما أقول لشعبى:خلى بالكم من أصحاب الطوائف الأخرى.

سألته:لكن هل وقوفك أمام الطوائف الأخرى يعنى أن تكفرهم وتحرمهم من دخول السماء فى الآخرة؟

قال:عمرى ما جبت سيرة الكفر أو جهنم،وأذكر إنى كنت أتحدث على الهواء فى برنامج على قناة أوربيت،وكنت أتحدث عن التحركات الصهيونية ضد

المسيحية وما قالوه عن قبر المسيح، وما رددوه عن مريم المجدلية، وإدعاءهم أنها كانت زوجته،واتصل مشاهد من المحلة الكبرى وقال أن هذه هى المسيحية الصهيونية وهى عقيدة عند البروتستنت فى مصر،لكن أنا قلت: إن البروتستنت يعارضون المسيحية الصهيونية،وقلت أيضا: أنها حتى فى الكنائس البروتستانية الأمريكية قليلة جدا،وهم ينادون بأن يبنى اليهود الهيكل وحتى يبنوا الهيكل لابد أن يهدموا المسجد الأقصى،وهو كلام لا يتفق مع صحيح الكتاب المقدس فالعهد الجديد يرفض إعادة بناء الهيكل،وقد أعددت بحثا فى ذلك أثبت من خلاله عدم أحقية اليهود فى بناء الهيكل،بل إنهم لا يجب أن يمسوا المسجد الأقصى من قريب أو بعيد.

فأنا دافعت عن البروتستنت على الهواء ، ودخل فى الحوار عبر التليفون القس رفعت فكري وهو قس بروتستنتى وقال لى: إنى كفرت البروتستنت، وقلت: إنهم سيدخلون جهنم،فقلت له أنا عمرى ما جبت سيرة الكفر ولا سيرة جهنم فى كلامى،وعلى العموم إحنا عندنا مؤتمر فى الغردقة لرعاة الطوائف، وهناك يمكن أن نتحدث فى هذه الأمور،وإذا كان بيننا حوار فلايجب أن يكون على الهواء وأمام الناس طالما أننا يمكن أن نتقابل ونناقش خلافاتنا على مائدة المؤتمر.

قلت له:لماذا إذن يعتبرك أصحاب الطوائف الأخرى عدوا مباشرا لهم ؟

قال:لأننى أقف لهم ولأفكارهم،عندك مثلا طائفة تعمل فى مصر ولا داعى لذكر اسمها الآن تقول: إن الوثنيين الذين يعبدون الأصنام سيدخلون الجنة،وأنا أعترض على هذه الفكرة تماما وقلت أنهم بذلك لن يهدموا المسيحية وحدها، بل سيهدمون الأديان كلها،والمشكلة أنها ليست طائفة صغيرة بل طائفة كبيرة ومؤثرة ولها أتباع كثيرون.

قلت:المشكلة قد لا تكون فى تعبيرك عن رأيك أو اختلافك مع الطوائف الأخرى ولكن فى الطريقة التى تعبر بها عن هذه الخلافات،الأسلوب عنيف أكثر من اللازم وهذا ما يؤذى الآخرين؟

قال:أنا علاقتى بالطوائف الأخرى عادية فأنا مثلا لا أعاديهم أو أكرههم لأنى

لا أكره أحدا كما يوصينى الكتاب المقدس،ولأننى عندما كنت أقول رأيى بصراحة فى الطوائف الأخرى وكنت أجدهم يغضبون فقررت ألا أتحدث إلا على مستوى شرح العقيدة فقط دون أن أذكر أسماء أحد.

قلت:هل كان «سى دى» البروتستنت الذى كفرتهم فيه سبب تراجعك؟

قال:من ساعة ما حصل موضوع هذا «السى دى» الذى وأنا بقيت حريصًا جدا حتى لا يغضب منى أحد،كنت اعتبر فى البداية أننا نتحدث داخل إطار واحد ومن حقنا أن نناقش كل أمورنا فى مؤتمراتنا الداخلية ونقول رأينا بصراحة مطلقة،ولما وجدت أن هناك من يغضب وبشدة وهو ما يمكن أن يؤثر على الحوار بيننا قلت: على إيه فليستمر الحوار أفضل.

***

يظل عدد الأقباط فى مصر لغزا محيرا ليس للكنيسة فقط ولكن للمسلمين أيضا، الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء لا يعلن عدد الأقباط ولديه أسبابه،وإن كان هناك من يشير إلى أن إحصاءات الجهاز تشير إلى أن العدد يتأرجح بين الـ ٤ والـ٥ ملايين قبطى،وهو ما ترفضه الكنيسة تماما،حيث أعلنت عبر أكثر من مسؤول فيها أن أعداد الأقباط فى مصر يزيد عن ١٥ مليونًا وهو ما أكده البابا شنودة أيضا فى أكثر من حوار له.

على هامش هذه الأرقام المتضاربة تبقى للأنبا بيشوى رؤية وتجربة فيما يتعلق بأعداد الأقباط فى مصر.

سألناه:هل تقوم الكنيسة بتسجيل كل المواليد الأقباط فى دفاتر لديها...كما يحدث فى دفاتر مكاتب الصحة؟

قال:الأقباط يتم تسجيلهم فى دفاتر الكنيسة عند المعمودية وليس ساعة الولادة لأن الكنيسة لا تكون حاضرة أثناء الولادة.

قلت:الأمر محسوم إذن...فالتسجيل يتم إن لم يكن عند الميلاد فعند التعميد أى أنكم تعرفون العدد الحقيقى للأقباط.

قال:التعميد لا يتم بعد الولادة مباشرة،فساعات يأتونى بطفل عمره ١٠ سنوات ولم يتم تعميده بعد ولادته.

قلت:ليست لديكم طريقة إذن لإحصاء مواليد الأقباط.

قال:أنا لا أشغل نفسى بهذا الموضوع،ولكننى أقول فى كل مرة يسألنى أحد هذا السؤال أن ردى هو ما قاله الرئيس مبارك حيث صرح للصحف أن عدد الأقباط يمثل ١٠٪ من سكان مصر،وقد قال هذا الكلام عندما كان عددنا ٦٠ مليونًا والآن العدد يصل إلى ٨٠ مليونًا وطبقا لما يقوله الرئيس فنحن ٨ ملايين... أنا أرد دائما بما يقوله الرئيس.

سألته:ماذا تفعل فى أبراشيتك...هل تحصى أعداد الأقباط عندك؟

قال:أنا عملت العضوية الكنسية عندى منذ عام ١٩٧٧،قمت بحصر كل المسيحيين الموجودين فى الأوبرشية،وكان البابا شنودة وبعد أن تولى منصبه طلب أن نعمل عضوية كنسية على مستوى الأوبرشيات كلها،بعض الأوبرشيات قامت بمجهود كبير وعملت المطلوب منها.

قلت:وإيه هى العضوية الكنسية؟

قال:يعنى لا نقوم بحصر من يتم تعميدهم فقط،ولكن نحصر البيت كله الأب والأم والأولاد وخدمتهم فى الكنسية،وكان هناك حرص على رصد من هو أرثوذكسى ومن هو غير أرثوذكسى،لكن الأهم بالطبع لنا أن نرصد الأرثوذكس، وقد وضعت ملفات هذا العمل كلها فى الكاتدرائية عند البابا شنودة منذ السبعينيات،ولم يستطع البابا شنودة أن يحصى أعداد الأقباط لأن هناك أبروشيات لم تؤدِ ما عليها ولم تنفذ ما طلبه منها البابا.

قلت:لا توجد لديكم إحصائية صحيحة لأعدادكم إذن؟

قال:كل ما يقال عن أعداد الأقباط فى مصر مجرد تخمين ولذلك عمرى ما قلت العدد كام بالضبط...لأنى لا أعرفه.

من بين الاتهامات التى تلاحق الأنبا بيشوى أنه يقف مثل حجرة العثرة أمام معارضى الكنيسة من أن يصلوا إلى البابا شنودة ويجلسوا معه ليعرضوا عليه أفكارهم وآراءهم،وحتى يكتمل الاتهام يتردد أن الأنبا بيشوى يفعل ذلك لأنه يخشى أن يمتد حبل الود بين البابا والمعارضة فيتبنى آراءهم وهى آراء فى الغالب ضد ما يفعله أسقف دمياط وكفر الشيخ والبرارى.

سألته مباشرة:لماذا تمنع المعارضين من الوصول إلى البابا شنودة؟

ابتسم قائلا:أنا مش سكرتير البابا ...أنا سكرتير المجمع المقدس...كيف أمنعهم وأنا لا شأن لى أو علاقة بمقابلات البابا...الأمر الثانى أن البابا لا يستطيع أن يحجبه أحد عن رعيته،فهو يعقد كل يوم أربعاء وعظة يحضرها الشعب وأنا نادرا ما أحضر هذا اللقاء ولا أعرف شيئًا عن الأسئلة، والبابا أثناء دخوله وخروجه إلى القاعة يتلقى رسائل من الشعب وفيها ما يريدونه منه.

قلت له: أنت لا تمنعهم بالمعنى المادى،لكنك تحرق المعارضين للكنيسة بأن تعلن أنهم ليسوا مسيحيين،هذا دون أن تحاكمهم حتى قيل: إنك تحاكم على الهواء مباشرة وتحرم بمجرد كلمة؟

قال:لا أريد أن أتحدث عن أسماء معينة لكن على سبيل المثال أنا قلت: إن جورج حبيب بباوى ليس أرثوذكسيًا لأنه نادى بتأليه الإنسان،وزعم أن البابا شنودة يقول نفس الفكرة، وانتشر هذا الكلام على الإنترنت ونشرت إحدى المجلات عنوانا منسوبا إلى بباوى تكفيرا للبابا شنودة.

وقال: أيها الأساقفة والكهنة والشعب انهضوا وحرروا الكنيسة من البابا شنودة لأنه خرج عن الإيمان المسيحى،وكل ما قلته أن جورج حبيب ليس أرثوذكسيا من الأصل،ولم أصدر بذلك حكما بل كنت أقول معلومة،فهو دخل الأرثوذكسية على كبر،فهو من أسرة غير أرثوذكسية ودخلها وهو عنده ١٩ سنة،ودخل سلك الإكليريكية ودرس فيها وطلع الأول وسافر إلى إنجلترا وحصل على الدكتوراه،ثم

انضم إلى الكنيسة الإنجليكانية وهى الكنيسة التى كانت تنتمى إليها أسرته وكان ينادى بتعاليمها أى أنه هو الذى فصل نفسه من الكنيسة.

قلت:لكنك فى حوارات كثيرة تعرض بأشخاص بعينهم وتطعن فى مسيحيتهم؟

قال: أنا لا ألقى بأحكام فى الهواء..كل حكم يصدر عنى له حيثيات وأسباب،ممكن واحد يظهر على قناة فضائية ويقول أى كلام على مرأى ومسمع من العالم،فإذا كان هو يعتز بعقيدة معينة وأنا قلت رأى مختلف بشأن ما قاله هل معنى ذلك أنى أخرجه من المسيحية،ثم هناك نقطة أخرى وهى أنه يمكن أن يقول شخص عبارات معينة تعكس موقفا معينا،وفى هذه الحالة أقول: إن من قال هذا الكلام لا يجب أن يخرج من واحد مسيحى،والمعنى واضح،فأنا لا أحرمه ولكن أستبعد أن يخرج الكلام الذى قاله من شخص مسيحى والفارق كبير جدا.

***

جملة عابرة قالها الأنبا بيشوى وهو يتحدث عن أعداد الأقباط ،قال أنتم تعرفون أن الأقباط فى مصر لا يميلون إلى العنف،فهم لا يحملون سلاح اللهم إلا بعض الموتورين فى أى مكان ولأسباب شخصية.

استوقفتنا الجملة العابرة وأدخلتنا إلى مساحة ساخنة وحادة من النقاش،قلنا له:لا نوافقك على أن الأقباط لا يميلون إلى العنف،فإذا كان كلامك صحيحا فكيف نفسر عنف شباب الأقباط فى المظاهرات التى جرت فى السنوات الأخيرة،العنف كان ملفتا؟

قال:العنف فى هذه الحالات كان فرديا...وكل ما حدث أن الشباب كان يهتف...ويهتف فقط دون أن يفعل شيئًا لأحد،ثم أن العنف الذى قام شباب الأقباط كان موجها لنا نحن قبل أن يكون موجها للآخرين.

قلت:هل اعتدى عليك أحد مثلا؟

قال:حدث وتحديدا فى مظاهرات شباب الأقباط فى الكاتدرائية فى قضية وفاء

قسطنطين،كنت داخلا إلى الكاتدرائية فأوقف الشباب سيارتى وخبطوا عليها وقلوا أدبهم جدا...قالوا ماذا فعلتم لنا؟

قلت:ألا تعتبر هذا عنفا وخطرا خاصة أنه موجه للكنيسة مباشرة؟

قال:سأكمل ما جرى أولا...نزلت من سيارتى وقلت لهم : هل يليق أنكم تتصرفون هكذا معنا ،حد فيكم دخل السجن أيام أنور السادات؟هل هذه مكافئتنا،لقد دافعنا ككنيسة عن الأقباط فى الجامعات أيام كانت الجماعات الإسلامية تعتدى عليهم بالجنازير فى كلياتهم ومدنهم الجامعية،وبسبب هذا الموقف وضعونا فى السجن لأننا قلنا لهم: ليس من حقكم أن تفعلوا هذا مع الأقباط.

قلت للشباب: وبعد كل هذا تقفون فى طريقى وترفعون صوتكم أمامى، وتركتهم وذهبت إلى محاضرتى فصعد إلى الشباب واعتذروا لى.

بعد ذلك نزل الشباب وهتفوا ورفعوا اللافتات،لم يبدؤوا بالعنف،بل بدأ رجال الشرطة وعندنا وثائق على ذلك،بتوع الأمن المركزى معاهم دروع ولابسين خوز، طلعوا على سطح الكنيسة البطرسية،كسروا بلاط الكنيسة اللى تحت التكييف وقذفوا بها الشباب وأصيب منهم عدد كبير،ولم نستطع أن نخرج بهم من باب الكاتدرائية فخرجنا بهم من الأبواب الخلفية حتى نصل بهم إلى المستشفيات ليتم علاجهم،وقد نشر البابا صور المصابين فى مجلة الكرازة ليؤكد أن الأمن هو الذى بدأ بالعنف.

قلت:وما حدث فى الإسكندرية؟

قال:وما الذى حدث فى الإسكندرية؟ تقصد أحداث محرم بك،ما حدث هناك أن الذين ضربوا بالسكاكين كانوا من الكنيسة وكان عندى مكرسة طعنت فى الرئة جنب القلب وظلت تنزف لمدة ٥ أيام،كانت خارجة من القداس هى و٣ بنات هجم عليها الولد ونزل فيها ضرب بالسكين وقطع أصابعها.

ومات مواطن قبطى وعندما خرجت جنازته اشتبك المسلمون مع من اشترك فى الجنازة،وحرقوا محلات الأقباط الموجودة فى الشارع،والغريب أن الدولة لم تدفع

تعويضات للأقباط المضارين رغم أن هذا واجبها،وهو ما قام به البابا شنودة حيث دفع تعويضات للأقباط المضارين ليس الأرثوذكس فقط ولكن البروتستنت أيضا.

ويكمل الأنبا بيشوى متسائلا:أين عنف الأقباط إذن؟هل لأنهم يهتفون ويقولون «بالروح بالدم نفديك يا صليب»،واحد قتل وخرجت جنازته يشتبكون معاهم ليه،ده لو فيه واحد فلسطينى مات بيعتبروه شهيدًا ويخرجوا يدفنوه فى زفة،نحن أيضا نعتبر أن من يقتل شهيدًا، وإن كنت أرى أن خروج الجنازة خطأ لأن السيطرة على المشاعر فى هذه الحالة تكون صعبة جدا من الطرفين.

ويضيف بأسى بدا فى صوته:أين عنف الأقباط؟الذين قتلوا فى الكشح كانوا ٢٠ قبطيا ولم يقتل مسلم واحد...فهل بعد ذلك يمكن أن نتحدث عن عنف الأقباط؟

***

على صفحة الأنبا بيشوى تتقاطع قصة أعتقد أنها لا تسعده،يعرفها جيدا وتصل إليه أصداؤها فى كل مكان ولذلك دخلت إليها مباشرة.

قلت له:هناك فاكس من ٢٠ صفحة أرسل إلى مكتب البابا شنودة بتوقيع ماجدة عبده القمص بيمن وهو كاهن بكفر الشيخ،فى هذا الفاكس وقائع عديدة لكن لفت نظرى أن هناك اتهامًا موجهًا لك وهو أنك أذعت اعترافها الخاص لتجبرها على أن تبقى مع زوجها...هل فعلت ذلك فعلا؟

قال:هذه نقطة سهلة جدا..فأنا لست أب اعترافها واسأل فى كفر الشيخ كلها،هذا أولا،وثانيا هذه السيدة بينها وبين زوجها اختلاف واتعمل لها مجلسًا إكليريكيا فى كفر الشيخ وكان من ضمن الحاضرين وكيل المطرانية وتم تحقيق تفصيلى انتهى باتفاق أن تغادر هى وزوجها كفر الشيخ وأن يسكنوا فى العامرية،وتم تنفيذ هذا الكلام ،لم أحضر هذه الجلسة والمعنىَ أنها لا جاءت لتعترف عندى ولا أنا أب اعترافها،وهناك تحقيق فإذا جرى بينها وبين أعضاء المجلس مناقشة فيما جرى فهل هذا إذاعة اعتراف،لقد جاءنى تقرير عن التحقيق

وهى مسألة أبعد ما تكون عن سر الاعتراف.

قلت له:لكنها تصر على أنك نشرت سرها وأكثر من مرة ولم تتردد أن تنشر هذا فى الصحف.

قال:لقد ذهبت إلى الصحف بالفعل..وتلاحظ أنى لم أرد على هذه الصحف لأننى حريص على ألا أمسها بسوء،رغم أنها لا زالت تتكلم وأنا لا أقول إلا العناوين فقط،والتفاصيل أحتفظ بها،لقد سألت الآباء الكهنة هل ناقشنا هذا الموضوع فى اجتماع الكهنة؟فقالوا لى لم يحدث،وحتى لو كان المجلس الإكليريكى ناقش وقدم تقريرًا أو ناقشنى فى الموضوع فهذا محفل كله كهنة،والمعلومات التى وصلتنى عن الموضوع لم تصلنى منها بل جاءتنى من المجلس.

قلت:لكنها طلبت منك أكثر من مرة أن تقابلك وتجلس معك لتعرض عليك مشكلتها مباشرة وأنت رفضت بل ونهرتها.

قال:ما تقوله كذب وإدعاء لقد جاءت بعد أن جلست مع وكيل المطرانية واتفق معها على رعايتها وبناتها لأنها بنت كاهن عندى والكاهن كتب احتجاجًا على ما فعلته إبنته وحاولنا أن ننشر هذا الاحتجاج فى الصحيفة التى نشرت لها لكننا لم نتمكن من ذلك.

قلت:تقول أن والدها قدم احتجاجا والحقيقة أنه اعتذار ولدى صورة منه ويقال: إنه كتبه تحت ضغط منك حتى لا تعاقبه بذنب إبنته؟

قال:لم يحدث وعندما سترى الفاكس ستجد أنه بتاريخ سابق لتاريخ نشر القصة فى الصحف فهو كان يحتج على ما فعلته معنا،وأنا لم أطلب منه الاعتذار مطلقا وهو حى يمكن أن تسأله،والحكاية أنى حاولت ألا أمس سمعتها..وحتى الآن وأنت تسألنى أتحدث عن الإطار الخارجى للموضوع دون الدخول فى تفاصيل،فكيف أكون مثلا أب اعترافها ثم تدعى أنى لا أريد أن أقابلها هذا هذا معقول.

قلت:وهل نهرتها وعنفتها أمام عدد من الأقباط؟

قال:لقد جاءت لتقابلنى فى الكنيسة بعد أن جلست مع وكيل المطرانية واتفقا على تهدئة الأمور،لكنها شنت حملة شعواء على القمص كيرلس منذ سنوات واتهمته بخيانة الأمانة وقد كسب هذه القضية،قالت لوكيل المطرانية بعدها لن أفعل شيئًا آخر ونشرت اعتذارا على النت، واعتبرنا أنها اصطلحت،لكننا فوجئنا أنها جاءت الكنيسة لتهاجم أبونا مرة ثانية،كنت قاعدًا على الكرسى وهى واقفة جنبى بتهاجم أبونا،فأنا قلت لها : أنا لا أسمح لك، وإذا تصرفت بهذا الأسلوب، فلن أكون راضيا عنك،ولن أسمح لك أن تتصرفى بهذا الشكل مع كاهن عندى فى الأبروشية،و من حقى كواعظ وكرئيس دينى عندما أجد أحدا يهين أحد الكهنة أنا أقول له أنك أخطأت فيما تفعله.

قلت:ليس فيما تقوله إهانة لها.

قال:هى اعتبرت أنى عندما قلت لها: إنى لست راضيا عن أسلوبك الهجومى على أبونا أنى بذلك أهنتها،يعنى واحدة تيجى تشتم واحدًا، ولما أقول لها عيب تبقى شتيمة،إنها تطاولت فى الكنيسة وتطاولت فيما كتبته فى الصحف، وعليك فقط أن تراجع الأسلوب الذى تتحدث به.

قلت له:لكن إنت قلت لها يا شرشوحة، ..هى قالت ذلك فى الفاكس واعتبرت أن هذا لا يليق من رجل دين.

قال:أعتقد أن مثل هذه الألفاظ من خيالها...لأننى لا أصف الشخص أبدا بل أصف كلامه، كأن أقول لها أن ما تقولينه عيب أو كلامك غلط ،لكن لا أصفها هى أبدا،وعندما يهين أحد شخصا آخر أمامى، يمكن أن أوبخه فى حدود أنى أنتقد كلامه دون أن أنتقد شخصه،وهى التى بدأت بالخطأ وخرجت عن اتفاقية الصلح وأقامت علينا الدنيا دون أدنى مبرر.

قلت:لكنها ترى أنكم نصرتم زوجها عليها فقد أخذ شقتها وطردها فى الشارع هى وبناتها.

قال:زوجها حتى هذه اللحظة يعتبر نفسه الطرف المجنى عليه، فقد أخذت منه البنات وهو يعيش الآن معلقًا والكنيسة فعليا لم تقدم له شيئًا يحقق له حياة عائلية مستقرة،وبعدين خلى أى محكمة تطلب منا وقائع جلسة التحقيق معها وسوف يظهر من الجانى ومن المجنى عليه فى هذه القضية.

قلت له:إن هذه القضية تفتح أمامنا ملف الطلاق،لماذا تتعاملون مع هذا الملف بكل هذه الحدة؟

قال:نحن نطبق تعاليم المسيح؟

قلنا:لكن أنتم سمحتم بزواج هالة صدقى مرة ثانية، ولم تسمحوا لزوجها بالمثل.وهذه أغرب واقعة فى الدنيا.

قال:موضوع هالة صدقى لو أردت أن تناقشه عليك أن تقابل الأنبا بولا(أسقف طنطا والمسؤول عن ملف الأحوال الشخصية) وهو سيثبت لك أن موقف الكنيسة فى قضية هالة صدقى سليم مائة فى المائة ويطابق الإنجيل،أنا لم أتابع الموضوع جيدا لكن أنا متأكد أن الكنيسة فعلت الصواب، وأنا معترض أن يقال: إن الكنيسة ظلمت زوجها.

قلت:موضوع هالة صدقى مجرد مثال نحن نتحدث عن القضية الأشمل وهى الطلاق ومعاناة الأسر القبطية منها؟

قال:نحن ملتزمون بشريعة الإنجيل حسب تعاليم السيد المسيح.

قلنا له:وهل المسيحيون فى العالم كله الذين يقرون الطلاق لا يتبعون تعاليم المسيح؟

قال:مش ملتزمين...وعندك مثلا الرئيس بوش الذى كان يخرج من الصلاة ليأخذ قرار الحرب فهل كان يطبق الإنجيل؟

قلنا:لكن قضية الطلاق فيها اجتهادات كثيرة فلماذا لا تحاول الكنيسة أن تأخذ بها؟

قال وكأنه يريد أن يغلق هذه الصفحة:ملف الطلاق سواء حالة معينة مثل هالة صدقى أو بشكل عام ليس من اختصاصى وإذا كنتم تشعرون أن هناك شيئًا ليس دقيقا فى موضوع هالة صدقى فأنا أرفض ذلك...ثم إذا كان هناك شخص يشعر أنه ظلم فى حكم من أحكام المجلس الإكليريكى فى أى فترة من الفترات يأتى ليستأنف عندى ..فأنا لا أفترض أن هناك حكمًا غير قابل للاستئناف.

***

تحيط بالعلاقة بين البابا شنودة والأنبا بيشوى شائعات كثيرة،تفجرت فى فترات غياب البابا خلال رحلات علاجه الأخيرة التى أصبحت تمتد.

قالوا :إن الأنبا بيشوى استغل غياب البابا فى أمريكا وبدأ يعقد جلسات للمجمع المقدس ويصيغ فيها رسائل للرئيس وكأنه أصبح البطرك الفعلى.

وقيل : إن البابا عزل الأنبا بيشوى من منصبه كسكرتير للمجمع المقدس، للدرجة التى دفعت الأنبا بيشوى لأن ينشر على موقعه الرئيسى تكذيبا لهذه الشائعة.

كنت أعتقد أنا أيضا أن هناك توترا ما ينخر فى العلاقة بين الرجلين الكبيرين فى الكنيسة،كانت هناك شواهد كثيرة تقول ذلك وتؤكده،لكننى عندما جلست مع الأنبا بيشوى شعرت بعمق العلاقة بينهما،للدرجة التى يمكن أن تقول معها أن بيشوى هو أمين سر البابا شنودة،يمكن أن تسأله عن أى شيء يخص البابا ستجد عنده الإجابة.

كان مهما أن أسأله عما تردد عن كتابة البابا شنودة لمذكراته،كانت بعض الصحف قد نشرت خبرا قصيرا عن قيام البابا شنودة بكتابة مذكراته عن فترة الرئيس السادات،وهى المذكرات التى سيذكر فيها أسرار الصراع بينهما وهو الصراع الذى انتهى بعزل الأنبا شنودة من منصبه وتحديد إقامته فى دير وادى النطرون،وبدأت الصحف تنسج على هذا الخبر روايات وسيناريوهات عديدة للدرجة التى كتب فيها البعض ما الذى يمكن أن يقوله البابا.

سألت الأنبا بيشوى :هل يكتب البابا مذكراته عن فترة صراعه مع الرئيس

السادات؟

قال:لا... هذا كلام غير دقيق بالمرة،وأصل الحكاية أننا كنا فى اجتماع ويحضره بعض الأساقفة ،وقال أحدهم: إنه لابد من التأريخ لفترة السادات والعلاقة الصاخبة التى ربطت بينه وبين الكنيسة،فقال البابا شنودة على الفور :إن الأنبا بيشوى هو الذى يستطيع كتابة تاريخ هذه الفترة وبكفاءة عالية ،وقد قال البابا ذلك لأن عندى وثائق الكنيسة جميعها،لدرجة أن البابا عندما يكتب شيئا يطلب منى الوثائق التى تؤكد كلامه.

قلت:وهل ستنفذ هذه الرغبة وتكتب ماذا حدث بين السادات والكنيسة؟

قال:أنا قلت لهم أنا يمكن أن أقوم بهذا العمل لو إن البابا أعطانى إجازة شهر حتى أتفرغ لإنجاز كتابة تاريخ هذه الفترة،فنظر البابا إلى وضحك،فلا هو أعطانى الإجازة ولا أنا كتبت وانتهى الموضوع.

هذه الواقعة فتحت لنا مساحة مهمة نطل من خلالها على البابا شنودة فى مرآة الأنبا بيشوى بحكم قربه منه واتصاله به،بصرف النظر عما تأتى به الأقدار بعد ذلك، انتقلت بالحوار عن رجال الدين فدافع الأنبا بيشوى عن البابا بيشوى وبشراسة.

قلنا له:رجل الدين الآن وبشكل عام يعيش حالة من الرفاهية المبالغ فيها،كان رجال الدين المسيحى زمان يعيشون فى الأديرة حالة ناردة من التقشف،كانوا يتعمدون أن يحيوا حياة من الجفاف المادى حتى يخففوا الضغط على الجسد،كان طعامهم فقط الماء والزيت،الآن رجال الدين يأكلون الحمام ويعيشون فى حالة ثراء يمكن أن تدعهم إلى الانحراف وهو ماحدث فعلا من كثير من رجال الدين المسيحى فى السنوات الماضية.

اعترض الأنبا بيشوى على هذا الرأى....

قال:هناك فرق بين كرم الضيافة وأكل الرهبان الخاص،هذه نقطة أما النقطة الثانية فهى أن رصف الطرق المؤدية إلى الأديرة فى الصحراء أدى إلى زيادة

الرحلات إلى هذه الأديرة مما أدى إلى اختلاط الرهبان بالشعب العادى،لكن ليس معنى ذلك أنى ضد رصف الطرق،لأن الراهب كان يمشى أكثر من ٢٠ كيلو متر فى الرمال حتى يصل إلى ديره وهو أمر كان صعبا جدا.

قلنا له:دعك من الرهبان الصغار...ألست معنا أن ما يرتديه البطرك فى أحيان كثيرة وبعد أن كان بسيطا جدا تحول إلى ما يشبه ما يرتديه الملوك،البابا كيرلس كان بسيطا ورفض أن يرتدى الزى الذى أهداه إياه حاكم أثيوبيا...أما البابا شنودة فقد تحول إلى سوبر ستار وهو يتصرف على هذا الأساس...وهو ما جعل الأقباط يحنون إلى القديس فى شخصية البابا كيرلس...ويرهقهم البابا شنودة الذى أصبح رمزا للسلطة السياسية أكثر منه رمزا روحيا؟

لم يرق هذا الكلام للأنبا بيشوى الذى قال:لا هذا الكلام عليه رد.

ثم بدأ يتحدث:كل اللبس اللى بيلبسه البابا شنودة أثناء القداسات هو نفسه اللبس اللى كان بيلبسه البابا كيرلس فى هذه المناسبات،لكن الفارق أن أيام البابا كيرلس لم يكن هناك تليفزيونات أو فضائيات أو تصوير بهذه الكثافة،ثم أن الزى الذى قيل : إن حاكم أثيوبيا أهداه إلى البابا كيرلس لم يرتده أنا أقول لكم أنه ارتداه كثيرا ولدى صور تؤكد ذلك وتدل عليه.

ثم إن طعام البابا بسيط جدا،وهو ليس بسيطا فى الفترة الأخيرة خلال مرضه،لكن طوال عمره فهو مثلا لا يأكل اللحوم إلا فى يوم عيد الميلاد وعيد الغطاس وعيد القيامة،وتقريبا أسبوع واحد بعد عيد القيامة،وعندما كنت فى دير السريان كنت أزور البابا فى دير الأنبا بيشوى،كان فيه سور بين الديرين وكنت أعدى السور وأروح له،وأنا موجود هناك طبخوا للبابا خضارًا بمَرقة الفراخ ومن غير فراخ خالص،وكانت النتيجة إن البابا زعل منهم جدا،ورفضَ ان يأكل من الطعام،وتعجبت جدا لأننا كنا فى وقت فطار وليس صيامًا،البابا غضبْ لدرجة أنه امتنع عن الكلام مع اللى عملوا العملة دى،وهذه الواقعة حضرها معى أسقف

حلوان الآن الأنبا بسنتى،فرغم أن البابا مريض ويعانى من أمراض عديدة إلا أنه لا يذوق اللحم إطلاقا بكافة أنواعه.

قلنا له:لكن يبدو أن هذه المعلومة ليست دقيقة، فقد شوهد البابا فى عزومة لدى الدكتور الراحل خيرى السمرة وكان يأكل فى العزومة حمامًا محشوًا؟

قال:إذا كان هذا حصل عند الدكتور خيرى السمرة فربما كان اللى موضوع على المائدة حمامًا محشوًا لكن أكيد كان فيه شيء آخر موضوع للبابا ليأكل منه،أو تكون هذه العزومة فى الأيام التى يأكل فيها البابا اللحم،و يمكن أن يكون الدكتور السمرة دعا البابا فيها كنوع من الاحتفاء به،وأنا أعرف أن البابا شنودة كان يزور الدكتور السمرة لأننى ذهبت معه إلى بيته أكثر من مرة، وأذكر أنه فى مرة من المرات كان هناك أمير سعودى موجود فى الدعوة.

قلنا له:وإذا كان ما تقوله صحيحا ونحن لا نشكك فيه فلماذا يحن الناس إلى عهد البابا كيرلس وإلى معجزات القديسين؟

قال:البابا شنودة له معجزاته أيضا ومن حدثت لهم المعجزات موجودين ويعيشون حتى الآن ويمكن أن تسألهم عما حدث،من هذه المعجزات مثلا كان هناك طفل عنده سرطان فى الدم وكانت الإصابة حوالى ٩٠٪،الدكتورة اللى كانت بتعالجه قالت لأهله، لو البابا صلى للطفل ده ربنا هيشفيه فورا،ولما عرضوا الموضوع على البابا وافق،إنه يصلى للطفل ولأهله كلهم وأعطى الطفل ملابس جديدة،رجع الطفل بعد صلاة البابا وعملوا له تحليلاً وجدوا إن نسبة السرطان صفر،وبعد ما كان الطفل محتاج لعملية زرع نخاع من قريب درجة أولى شفى دون أى علاج، فقط صلاة البابا له،وهذه الواقعة حدثت فى معهد السرطان وأصحابها موجودون حتى الآن.

وفيه معجزة ثانية وهى من المعجزات الثقيلة جدا رغم إن البابا بيعمل حاجات كتير كل يوم لكن أنا باتكلم عن واقعتين فقط،جاءنى ناس متجوزين من ٢٤ سنة

مروا على فى دير القديسة دميانة ولم يرزقا بطفل بعد كل هذه السنوات،قالوا لى إحنا عدينا على البابا فى كاتدرائية العباسية وصلى لنا ورشمنا بالزيت وقلنا لو ربنا رزقنا بطفل هنجيب خروف ونيجى السنة الجاية نعمد الطفل عندك،فقلت لهم ربنا يعطيكم حسب إيمانكم.

فى مايو من السنة التالية لقيتهم جايين ومعاهم طفل وخروفين، وعمدت الطفل لكنى وجدت معه طفلاً آخر،وسألتهم عن الطفل اللى معاه قالوا لى أبو هذا الطفل ابن شقيق الرجل الذى أنجب بعد ٢٤ سنة،أى أن ابن شقيقه تزوج وأنجب مع عمه الذى ظل محروما من الأطفال كل هذه السنوات،أى أن هناك جيلاً كاملاً بين والدى الطفلين،هذه أشياء عشتها بنفسى،وأعتقد أن هذه معجزة أن ينجب رجل بعد ٢٤ سنة بعد أن صلى له البابا هو وزوجته.

والبابا كيرلس أنا شفت له معجزات كثيرة وعمل معى شخصيا معجزات ولا أنكر أن الناس تحبه وتعتز به وتزور ديره بأعداد كبيرة جدا،لكن البابا شنودة عنده شيء يغطى على معجزاته،وهو أن شخصيته شخصية كاريزمية،وعندما يتحدث يؤثر بقوة فى الجماهير.

قلت له:شخصيته الكاريزمية هى التى تحجب معجزاته أم دوره السياسى الذى يقوم به؟

قال:لا مش الدور السياسى طبعا...البابا شنودة بدأ قصته مع الشعب منذ أن كان أسقفا للتعليم،ولم يكن له أى دور سياسى وقتها،كانت القاعة التى يعظ فيها تمتلأ عن آخرها،البابا شنودة يشبه الرئيس جمال عبد الناصر فى قدرته على الخطابة،فشهرة البابا فى الوعظ تطغى على شهرته فى عمل المعجزات،وهذه ميزة له،أما حكاية أن للبابا دورًا سياسيًا فقد بدأ هذا الموضوع مع حرقَ كنيسة الخانكة فى القليوبية،وبدأت المسائل تتعقد بينه وبين السادات ومن يومها وينظر لما يفعله البابا على أنه دور سياسى.